العرب تحت راية الإسلام

يخطئ من يظن أن الصراع العربي الأسرائيلي من الممكن أن تنهيه معاهدة صلح أو إتفاقية سلام قد يصدق هذا إذا كانت القضية مجرد احتلال أرض أو نزاع حدودي أو مشكلة سياسية مما يطرح على موائد المفاوضات أو في أروقة الأمم المتحدة إن الصراع العربي الإسرائيلي ليس هذا فحسب إنه أعمق غوراً وأشد خطراً.

ونتج عن النظرة السطحية لهذا الصراع أن العرب فشلوا فشلاً زريعاً في استرداد فلسطين بما فيها القدس بما تحويه من بيت المقدس ثالث المقدسات الإسلامية إن النظرة القومية أو العلمانية للصراع العربي الإسرائيلي فرغت القضية من مضمونها الحقيقي مما ترتب على ذلك أن الجندي العربي ـ طوال مراحل الصراع يقاتل بلا عقيدة مما أفقده الحماس وحب الاستشهاد في سبيل الله لأن الفكر الذي يقود المواجهة فكر قومي أو علماني والجندي العربي مفتاح شخصيته العقيدة الإسلامية المغروسة في قلبه الكامنة في أعماقه المتأصلة في نفسه. قاتل بها يوم (بدر) فانتصر وهي التي جعلت من الجندي المسلم عمرو بن الحمام حينما تناهى إلى مسمعه نبأ المعركة وتعبئة المسلمين للقتال وكان وقتئذ يأكل من بضع تمرات بعضها في يده ويلوك أخرى في فمه فما كان منه إلا أن ألقى بهذه التمرات قائلاً بيني وبين الجنة أن أكل هذه التمرات فألقى بها في الأرض وألقى بنفسه في المعركة ونال أمنيته الغالية وخر شهيداً بعد أن نال من الكفار ما نال.

ومن خلال عقيدة الجهاد المبنية على تعاليم الإسلام السمحة قام المسلمون

بواجبهم نحو حماية الحق والحرية فانساحت الجيوش في العالم كله جنوبه وشماله شرقه وغربه لتنقذ المستضعفين في الأرض وتنصر المظلومين وتنشر العقيدة الإسلامية الصحيحة.

ويلخص الإمام حسن البنا ـ رحمه الله ـ مراحل تاريخ المسلمين أيام تمسكهم بالعقيدة الإسلامية فيقول في رسالة بين الأمس واليوم:

على قواعد هذا النظام الاجتماعي القرآني الفاضل قامت الدولة الإسلامية الأولى تؤمن به إيماناً عميقاً وتطبقه تطبيقاً دقيقاً وتنشره في العالمين، حتى كان الخليفة الأول رضي الله عنه يقول: «لو ضاع مني عقال بعير لوجدته في كتاب الله» وحتى إنه ليقاتل مانعي الزكاة ويعتبرهم مرتدين بهدمهم هذا الركن من أركان هذا النظام ويقول: «والله لو منعوني عقالا كانوا يؤدونه لرسول الله ﷺ لقاتلتهم ما استمسك السيف بيدي».

وكانت الوحدة بكل معانيها ومظاهرها تشمل هذه الأمة الناشئة. فالوحدة الاجتماعية شاملة بتعميم نظام القرآن ولغة القرآن، والوحدة السياسية شاملة في ظل أمير المؤمنين وتحت لواء الخلافة في العاصمة، ولم يحل دونها أن كانت الفكرة الإسلامية فكرة لا مركزية في الجيوش، وفي بيوت المال، وفي تصرفات الولاة، إذ أن الجميع يعملون بعقيدة واحدة وبتوجيه عام متحد.

ولقد طاردت هذه المبادئ القرآنية الوثنية المخرفة في جزيرة العرب وبلاد الفرس فقضت عليها، وطاردت اليهودية الماكرة فحصرتها في نطاق ضيق وقضت على سلطانها الديني والسياسي قضاءً تاماً، وصارعت المسيحية حتى انحصر ظلها في قارتي آسيا وأفريقيا وانحازت إلى أوربا في ظل الدولة الرومانية الشرقية بالقسطنطينية، وتركز بذلك السلطان الروحي

والسياسي بالدولة الإسلامية في القارتين العظيمتين، وألحت بالغزو على القارة الثالثة تهاجم القسطنطينية من الشرق وتحاصرها حتى يجهدها الحصار، وتأتيها من الغرب فتقتحم الأندلس وتصل جنودها المظفرة إلى قلب فرنسا وإلى شمال وجنوب إيطاليا، وتقيم في غرب أوربا دولة شامخة البنيان مشرقة بالعلم والعرفان، ويتم لها بعد ذلك فتح القسطنطينية نفسها وحصر المسيحية في هذا الجزء المحدود من قلب أوربا، وتمخر الأساطيل الإسلامية عباب البحرين الأبيض والأحمر فيصير كل منهما بحيرة إسلامية، وتقبض قوات الدولة الإسلامية بذلك على مفاتيح البحار في الشرق والغرب وتتم لها السيادة البرية والبحرية.

وقد اتصلت هذه الأمم الإسلامية بغيرها من الأمم ونقلت كثيراً من الحضارات، ولكنها تغلبت بقوة إيمانها ومتانة نظامها عليها جميعاً، فعربتها أو كادت، واستطاعت أن تصبغها وأن تحملها على لغتها ودينها بما فيها من روعة وحيوية وجمال، ولم يمنعها أن تأخذ النافع من هذه الحضارات جميعاً من غير أن يؤثر ذلك في وحدتها الاجتماعية أو السياسية.

****